الراوي في رواية نوزت شمدين (سقوط سرداب)

م. م. رسل سمير علي الخفاجي

246Rasul@gmail .com
الجامعة المستنصرية / كلية الآداب/ قسم اللغة العربية

الملخص:-

لما كان الراوي من أوضح العناصر في القصص العربية القديمة والحديثة، ولأنه المفتاح المناسب لفهم النص، ولكونه لم ينل حظه الكافي من الدراسة، لذا وجب على الدارس للراوي في الرواية أن يبحث عن طبيعة حضوره في الرواية مقارنة بالشخصيات من جهة ومن ناحية الضمير الذي يتكلم به من جهة أخرى.

وعليه حاولت هذه الدراسة شق هذا الطريق، وتناول قضايا ضرورية بالرغم من كونها قضايا أولية، مثل دراسة مفهوم الراوي، ووظائفه، وأنواعه، وتأثيره في النص، أي أنَّها تدرس الجوانب النظرية التي تتعلق بالراوي ودوره في رواية سقوط سرداب للكاتب نوزت شمدين، لذلك جعلت من موضوع هذه الدراسة (الراوي في رواية نوزت شمدين سقوط سرداب).

الكلمات المفتاحية: الراوي، رواية، سقوط، سرداب.

The narrator in Nawzat Shamdin's novel (The Fall of the Crypt)

Assistant Professor / Rasul Samir Ali Al-Khafaji
246Rasul@gmail .com
Al-Mustansiriya University / College of Arts /
Department of Arabic Language

Abstract:-

Since the narrator is one of the most prominent elements in ancient and modern Arabic stories, and because he is the appropriate key to understanding the text, and because he has not received sufficient study, it is necessary for the student of the narrator in the novel to investigate the nature of his presence in the novel in comparison to the characters, on the one hand, and to the pronoun he speaks with, on the other.

Accordingly, this study attempts to pave the way for this path, addressing essential issues, despite their being primary, such as studying the concept of the narrator, his functions, types, and his influence on the text. In other words, it examines the theoretical aspects related to the narrator and his role in the novel "The Fall of a Crypt" by Nawzat Shamdin. Therefore, the subject of this study is "The Role of the Narrator in the Novel "The Fall of a Crypt" The narrator in Nawzat Shamdin's novel The Fall of the Crypt).

Keywords: : ***Narrator, Novel, Fall, Crypt***.

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة:

تعد الرواية من فنون الأدب التي تطورت كثيراً وانتشرت انتشاراً واسعاً في الأدب الحديث والمعاصر، مما جعلها تحتل مكانة بارزة بين الأجناس الأدبية الأخرى كالشعر والقصة القصيرة، وتحصل على مكانة مرموقة وتحمل قضايا متشعبة، وذلك لاستيعابها للأسس الفنية التي يبنى عليها العمل الأدبي، وارتباطها بالتحولات الاجتماعية والسياسية والثقافية، فالرواية تحمل منذ طور تكوينها صوت الأديب وآلام الشعوب، لامتلاكها مقومات وركائز التأثير في المجتمع ، في محاولة معالجة مشاكله، ولامتلاكها القدرة الفنية وتميزها عن غيرها من الفنون بقدرتها على احتواء هموم الإنسان ماضياً وحاضراً وحتى مستقبلاً، لأن الكاتب الروائي لا يكتب لنفسه، بل يعمل على إيجاد الصلة بينه وبين أفراد مجتمعه، وبين ما تحمل روايته.

والرواية ليست قصصاً تروى أو مجموعة أحداث تسرد بشكل عشوائي، بل هي عالم أدبي متلبس بالحياة الواقعية، أو عالم متشبع بالخيال، يجسده الكاتب عن طريق راوٍ أو شخصيات أو أحداث وفضاءات تكون بمجموعها عناصر أساسية ومحورية لهيكل الرواية الحكائي، وتتشكل بهذا البنية السردية لها من خلال تضافر هذا العناصر مع بعضها البعض، ويؤدي كل عنصر دوره الوظيفي ويدعم العناصر الأخرى التي تشاركه هذا العالم الروائي للتكامل بذلك الأدوار فيما بينها.

وقد ظهرت في العصر الحديث أشكال مختلفة من الأدب السردي، وتطورت أساليب الأدب ومضامينه، ومع ذلك لم يتخلى الأدب القصصي العربي عن تقنية الراوي أو شيوع أسلوب التقرير السردي في الرواية، فنجده حاضراً في الرواية، بل في أكثر أشكال الأدب حداثة، وقد تعددت وظائف الراوي وتنوعت علاماتهم، واهتمت الدراسات الأسلوبية الحديثة بدراسة الراوي في الرواية حتى غدت دراسته في الغرب ضرورة لفهم عناصر السرد القصصي جملة، مثل الزمان والمكان، وزاوية الرؤية، والشخصيات، والمؤلف وغير ذلك.

فالراوي يعد أحد الشخصيات المتخيلة داخل العمل الروائي، وينوب عن الكاتب في سرد الأحداث، فيظهر باعتباره صورته داخل النص الروائي، ويتحول إلى قناع من أقنعته يقدم من خلاله عمله للمتلقي، الذي يتمكن بدوره من ملاحظة الراوي داخل العمل الروائي بسهولة، ويجد في الوقت نفسه صعوبة في تحديد طبيعة سرده وعلاقته بالكاتب من جهة وبالشخصيات الحكائية

الأخرى من جهة أخرى، فالراوي شخصية مهمة في الرواية، فهو يصف الزمان وينطق الشخصيات وصور المكان، ويحدد الرؤية، وبذلك فإنه يقدم العرض القصصي كله ويحرك خيوط السرد كيف ما شاء، سواء كان فعلاً أو قولاً، لذلك فإن شخصية الراوي أهم عنصر مركزي في الخطاب السردي، في حين تتشكل باقي العناصر السردية الأخرى تبعاً لنوعيته، فهو بمثابة الأنا الثانية للكاتب، لذا فإن الراوي يقوم بوظائف متعددة ومتكاملة فيما بينها من أجل تقديم العرض القصصي وسرد الأحداث بطريقة بنائية، إذ أنه يؤدي دوراً هاماً في العمل الروائي مهما كان هذا الدور متبايناً بين القوة والضعف من عمل لآخر موازاة مع بقية الشخصيات الفاعلة إذ يعمل الروائي إلى اختياره مادة عمله ليجعل منها جاهزة لخوض غمار اللعبة الروائية، وعليه نجد أم كل رواية مهما كانت مختلفة التوجه، فإنها لا تخلو من وجود وتعدد الوظائف التي يقوم بها الراوي في عملية سرد العالم الروائي.

وبطبيعة الحال فإن أي دراسة بحاجة إلى عمود فقري يسنده، وتمثل هذا العمود في خطة الدراسة التي حددت اتجاه الدراسة ومعالمها، فجاءت خطة الدراسة مقسمة على مقدمة عامة عن موضوع الدراسة، ومبحثين، وخاتمة سجلت فيها أهم ما توصلت إليها الدراسة من نتائج.

حيث تطرقنا في المبحث الأول إلى المفاهيم النظرية حول الراوي ووظائفه وأنواعه، أما المبحث الثاني فقد تناولنا فيه تموقع الراوي في الرواية وتجليات الراوي في رواية نوزت شمدين (سقوط سرداب)، وأنهينا البحث بخاتمة كانت حصيلة لأهم النتائج التي خلصنا إليها، وأخيراً زودنا البحث بقائمة المصادر والمراجع التي اعتمدنا عليها لإغناء الدراسة.

أما فيما يخص المصادر المستخدمة في الدراسة فمن الطبيعي أن يتطلب موضوع كهذا قراءة مصادر ومراجع متنوعة، وقد اعتمدنا بالدرجة الأولى على رواية سقوط سرداب للراوي نوزت شمدين، لاعتبارها موضوع الدراسة فضلاً عن مراجع أخرى منها: الراوي والنص القصصي لعبد الرحيم الكردي، وكتاب بنية النص السردي من منظور التقدم الأدبي لحميد لحميداني، وكتاب المتخيل السردي (مقارنات في التناص والرؤى والدلالة) لعبد الله إبراهيم، وكتابي الراوي الموقع والشكل (دراسة في السرد الروائي)، وتقنيات السرد الروائي في ضوء المنهج البنيوي للروائية يمنى العيد، وغير ذلك من المصادر التي أغنت مادة الدراسة.

أما المنهج المعتمد في الدراسة فكان المنهج الوصفي والتحليلي، فضلاً عن المنهج البنيوي لملائمة هذه المناهج لطبيعة الموضوع المتناولة.

المبحث الأول(مفهوم الراوي وأنواعه ووظائفه)

المطلب الأول: مفهوم الراوي

أولاً: الراوي في اللغة:

روى: " تروي معناه تستقي. يقال: قد روى معناه استقى على الرواية" وروى الحبل رياً فارتوى، وقيل: أنعمَ فَتْلَهُ. وروى الحديث والشعر يرويه رواية وتروّاهُ، وقد روّاني إياه رجل راوٍ. ويقال: روى فلان فلاناً شعراً إذا رواه له حتى حفظه للرواية عنه (ابن منظور، د.ت: ص١٧٨٦) (Ibn Manzur, n.d.: p.1786).

و "روى الحديث يرويه رواية، حمله ونقله، وروى الحبلَ فَتَلَهُ. والروي الماء الكثير، والرواية النقل. ورويته الشعر تروية حملته على روايته، والراوي اسم فاعل وعند المحدثين ناقل الحديث بالإسناد فهو راوٍ. يقال: راوية فلان أي يروي حديثه أو شعره (البستاني، ١٩٨٧: ٢٦١/١)-(Al-Bustani, 1987: 1/261) .

نجد مما تقدم أن مفهوم الراوي أو شخصيته كان مشهوراً عند العرب لأسباب تتعلق بالبيئة الاجتماعية والنفسية، فكان حاضراً في كل نظم ونثر.

ثانياً: الراوي في الاصطلاح

الراوي هو الشخص الذي يروي الحكاية ويسردها " وهو الذي يروي الأحداث التي شهدها أو سمع عنها وهو الذي يروي سيرة حياته كما عاشها أو كما يراها في زمن الكتابة" (زيتوني، ٢٠٠٢: ص٩٥٤). فهو ينقل أحداثاً حقيقية أو غير حقيقة بلسانه، سواء عاش هو بنفسه هذه الأحداث وكانت من تجاربه في الحياة أو سمعها من غيره، فهو ناقل لمعرفة من المعارف إلى الذي لا يعرف. فالراوي " واحد من شخوص القصة إلا أنه قد ينتمي إلى عالم غير العالم الذي تتحرك فيه شخصياتها، ويقوم بوظائف تختلف عن وظيفتها، ويسمح له بالحركة في زمان ومكان أكثر اتساعاً من زمانها ومكانها" (الكردي، ٢٠٠٦: ص١٧).(Al-Kurdi, 2006: p. 17)

إن كل قصة أو حكاية لا تخلو من وجود أشخاص أو أحداث أو أمكنة، إلا أنها تبقى ناقصة غير مكتملة حتى يتدخل راوٍ يتكفل برواية أحداثها ونقلها إلى الوجود، وهذا الراوي يكون في بادئ الأمر وقبل كل شيء أحد شخوص القصة له عالمه الخاص المتخيل، غير العالم الذي تتحرك فيه الشخصيات، المر الذي يجعل من وظائفه مختلفة عن وظائف الشخصيات، ويعطيه مساحة زمانية ومكانية واسعة في الوقت نفسه. ويمثل الراوي مفتاح العمل السردي الذي يفتح المجال لنا للتطلع

على عوالمه وفضاءاته، وهو يمثل " أداة للإدراك والوعي وأداة للعرض، بالإضافة إلى ذلك، فإنه ذاتٌ لها مقوماتها الشخصية التي تؤثر – إيجاباً أو سلباً- على طريقة العرض، وبهذا يقف في المنطقة التي تفصل بين العالم الفني المسجل في النص، والصورة الخيالية للعالم نفسه عندما يتشكل من جديد في ذهن قارئ هذا النص" (الكردي، ٢٠٠٦: ص١٨).(Al-Kurdi, 2006: p. 18)

ونظراً لأهمية الراوي في النص السردي، وباعتباره عنصراً مهيمناً ودعامة من دعائم الرواية، وبموقعه يتحدد شكلها فقد استأثر بعناية خاصة من نقاد العمال السردية ودارسيها، إذ عكفوا على دراسته واقتفاء دوره ورصد أثره داخل النص، إذ لكل واحد رؤيته الخاصة للراوي الذي يمثل المكون المحوري للعالم الروائي.

المطلب الثاني: أنواع الرواة ووظائفه

إن هناك من جعل الراوي من العوامل المتغيرة في النص وتتماشى حسب وظائفه داخل الرواية، أي لم يجعل الراوي مقيداً أو محدوداً، وله القدرة على اختيار الطريقة التي تتولد الحكاية على أساسها، كما يختار أسماء الشخصيات وميزات كل شخصية منها. في حين تجاوز البعض الآخر دور الراوي التقليدي بكون مهمته مجرد الإخبار عن الأحداث، وتعدى هذا إلى تحول الراوي إلى رؤية تكسب العالم الذي ينظر إليه خصائصه الذاتية، وأن الزاوية التي يقع فيها هذا الراوي قد تبرر جوانب أخرى، وبذلك فهو يتعدى وظيفته التقليدية لامتلاكه وظائف متعددة (الكردي، ٢٠٠٦: ص٤٢-٤٧) (Al-Kurdi, 2006: p.42-47).

أولاً: أنواع الرواة

يتكون العمل الروائي من عناصر تتلاحم فيما بينها لتشكل عالماً نصياً قائماً بذاته، فيلعب فيه كل مكون من شخصيات فضاء، حدث، وارو دوره المنسوب إليه ليشكل مع المكونات الأخرى هيكل النص الروائي فتتناسق فيما بينها الأدوار، إذ تقوم الشخصيات بصناعة الأفعال وتحرك الحدث الذي يتغير هو الآخر بتغير الفضاء، ويأتي الراوي لينظم هذه المكونات جميعاً، ويكون وجهة ننظر من خلالها إلى الرواية، وبشكل عام يتجلى حضور الراوي في الرواية بصور عدة منها:

١. الراوي الغائب: هو راوٍ موجود داخل الرواية التي يرويها، ولا يشير إلى نفسه ولا لهويته، ويكون سرده لأحداث الرواية أو القصة بعيداً عن ضمير الأنا، ويكون غائباً في تقديمه لعالم الرواية (عبيد، والبياتي، ٢٠١٢: ص١٠٦) (Ubaid and Al-Bayati, 2012: p. 106)، ويسميه ولاس مارتن بـ " السارد المؤلفي الذي لا يشارك في الفعل، يسرد القصة ولكنه لا يكثر من التعليق أو استخدام الضمير أنا "(مارتن، ١٩٩٨: ص١٧٦) (Martin,

(1998: p. 176، وغالباً ما يكون هذا الراوي واسع الاطلاع بكل شيء، فأحياناً يحلل ويتدخل في تفاصيل السرد، وقد يلجأ إلى رواة آخرين ليحافظ على مسافة ما مع ما يرويه (جبيلة، ٢٠١٠: ص٢٩٤)(Jubaila, 2010: p. 294) ، فهذا الراوي " هو أبسط العناصر الأساسية للرواية، والأكثر استعمالاً والأوضح في الفهم، بحيث يكون مختفياً وراء قناع الضمير (هو) ويتموقع وراءه من أجل إيصال أفكاره وتصوراته، ويكون ذلك بصفة غير مباشرة تماماً، وهو في هذه الحالة يسقط المسافة بينه وبين ما يسرده، فنجده في بعض الأحيان يحلل ويفسر تفاصيل السرد، وفي أحيان أخرى نراه يلجأ إلى رواة آخرين من أجل الإبقاء على المسافة التي صنعها ووضعها بينه وبين ما يسرده" (جبيلة، ٢٠١٠: ص٢٩٤-٣٠٢) .(Jubaila, 2010: p.294-302)

ويسمى حكي الراوي الغائب بالسرد الموضوعي، وينتمي إلى القصة لأن وظيفته تقوم على الرؤية من الخلف، إذ يقف خارج إطار الحكاية التي يرويها، ويكون فيها عالماً بكل شيء عن العالم الراوي والتجربة القصصية، والشخصيات التي يرصد حركاتها وأقوالها، وبالتالي يكون عالم أكثر مما تعلمه أي شخصية من شخصيات العالم المتخيل السردي، وهذا النمط هو الأكثر شيوعاً في العالم الروائي.

٢. الراوي المشارك: وهذا النوع يكون متضمناً في القصة، ووجهة نظره داخلية، والراوي فيها يعتمد على ضمير المتكلم فيظهر " ملتحماً بالحدث كما يكون الحديث منصباً عليه في مجمل فصول الرواية عن طريق الإضاءة وإقناع المتلقي، مستعملاً جميع قدراته في الحكي عن ذاته بموضوعية عامة، وعن الآخرين في إبراز أهم شيء بربطهم بالحدث عن طريق بنائهم النفسي والعقلي" (خليفي، ١٩٩٤: ص٧٥)(Khalifi, 1994: p. 75) . فاستعمال ضمير (الأنا) يجعلنا في مواجهة الأحداث مباشرة، وهي تتدفق من ذهن من عايشها، وهنا تتجلى أهمية الراوي حيث تجعل من الأنا أكثر الأصوات المسموعة في السرد المعاصر. ويكون هذا الراوي موجوداً ومتضمناً في لإطار القصة، وهو يعتمد على ضمير المتكلم أي أنه راوٍ له مكانة ودور في تحريك الأحداث ومواجهتها انطلاقاً من اعتماده على ضمير المتكلم (أنا). فيظهر الراوي ظهوراً قوياً إلى درجة تهيمن فيها صورته على كل العالم القصصي الذي يسرده، ويعلو صوته فوق جميع الأصوات، فلا يرى إلا صورته، ولا يسمع إلا صوته، ولا يعرف إلا ما يقدمه ويرويه وهو من أفعال الشخصيات، فهو فقط صاحب السلطة والسيطرة، إذ يكون له حضور كبير في القصة، الأمر الذي يجعلنا نلمس دور هذا الراوي، وتتضح لنا صورته في مشهد واضح وتزيل

الستار عن ما يتخفى وراءه (الكردي، ٢٠٠٦: ص٧٩-٨٠)-(Al-Kurdi, 2006: p.79-80).

وتتضح لنا من هنا أهمية هذا النوع من الرواة الذي منحت له الرواية مساحة كبيرة داخل المتن الحكائي باعتباره سبباً في إيصاله إلى المتلقي، وبالتالي جعلت من الأنا أكثر الأصوات المسموعة فيها، كما أنه في كثير من الأحيان نجد هذا النوع من الرواة يدخل في علاقة بالشخصيات المشاركة في الأحداث إلا أنه يترك بينهما مسافة ليترك لها مجالاً لممارسة حريتها.

٣. الراوي الثنائي: تتميز أغلب النصوص السردية بتعدد الذوات فيها، فـ" النص السردي مهما كان أحادياً في هيمنة ما من الرؤى، فإن رؤى أخرى لابد أن تتسلل إليه، وإن كان هذا التسلل مشروعاً من خلال الحوارات المتبادلة بين الشخصيات المختلفة التي تتعارض مع بعض الشخصيات قصد إدانتها وتعرية أفكارها، إن التعددية قائمة في النص بصورة أو بأخرى، إذ لا يكاد يكون ثمة نص لا يحتمل التعددية" (إبراهيم، ١٩٩٠: ص١٣٤) (Ibrahim, 1990: p. 134).

٤. الراوي المتعدد: ويقصد به تعدد الرواة الذين يرون وقائع وأحداث الرواية عوض الاكتفاء براو واحد، ما يتيح للمتلقي استقبال الرواية من مصادر متعددة، ويرى الناقد حميد لحميداني أن تناوب الأبطال على رواية الأحداث من شأنه أن يخلق شكلاً متميزاً اصطلح عليه الحكي أو الرواية داخل الرواية، رغم إقراره بأن إنتاج هذا الشكل غير مشروط بتعدد الرواية، بل بإمكان الراوي الواحد أن يجسده، وذلك بأن يعقد علاقات بين مقاطع حكائية مختلفة مع توزيع زوايا الرؤيا (لحميداني، ٢٠٠٠: ص٤٩) (Lahmidani, 2000: p. 49). وعليه فإن تعدد الرواة سمة فنية تتسم بها كثير من الروايات المعاصرة، فهي تكسب الرواية شكلاً متميزاً، وتخلق عالماً روائياً متنوعاً ومتعدد المصادر الحكائية ومتنوع الأحداث وكثرتها وبالتالي تسهم في عملية إبداع النص الروائي وتسهم في إثرائه. ويكون هذا النوع من الرواة موجوداً في بعض الأعمال الروائية التي تنزع إلى تعدد الرواة في سرد وقائعها وأحداثها، مما يمنح الرواية تعدد زوايا استقبال المعلومات والحكايات فيها، ومن شأن هذا التعدد الناتج عن تناوب أكثر من راو واحد على تأليف العملية القصصية وبناء الحدث، أن يشكل بنية حكايته تكون متشاركة من رواة القصة المتعددين الذين يقعون في دائرة الشخصيات الرئيسة للحكاية في معظم الأحيان، وهذا النمط يترك أثره على علاقة الراوي بالشخصيات، وعلى علاقة الشخصيات فيما بينها، إذ تبدو وكأنها تسبح في عالم لا يخلو من الفوضى في نقل الأحداث وانتقال سردها من راوٍ لآخر، وتسعى هذه الفوضى والالتباس الذي يولدهما

التركيب اللغوي، إلى إيهامنا بأن لا موقع هيمني للراوي الواحد في النص ولا صوت يحكم الأصوات الأخرى وإنما كل الأصوات تتشارك (العيد، ١٩٨٦: ص٨٨-٨٩)-Al) (Eid, 1986: pp. 88-89. و " يسمح الحكي باستخدام عدد من الرواة، ويكون الأمر في شكله الأكثر بساطة عندما يتناوب الأبطال أنفسهم على رواية الوقائع واحد بعد الآخر، ومن الطبيعي أن يختص كل منهم براوية قصته" (الكردي، ٢٠٠٦: ص١٣٢)-Al) (Kurdi, 2006: p.132) . فقد يضطلع راو أول سرد قصة معينة متصلة بشخصية الرواة يؤدي غالبا إلى تعدد وجهات النظر، وقد يولد الراوي الواحد زوايا متعددة للرؤيا. عندما يكون الراوي ممثلا في الحكي أي مشاركا في الأحداث كمشاهد أو كبطل يمكن أن يتمثل في سيرورة الأحداث بغض النظر عن التعاليق أو التأملات التي تكون ظاهرة وملموسة، إلا ما كان الراوي شاهدا عليها لأنها تؤدي إلى انقطاع في مسار السرد، وتكون معمرة ومتداخلة مع السرد بحيث يصعب تميزها إذا كان الراوي بطلاً.

٥. الراوي العليم: يعد الراوي العليم أكثر أنواع الرواة شيوعاً في الرواية، فهو يسيطر على القصة ويترك أثراً بليغاً فيها، فهو يتعامل مع الشخصيات كما لو كانت شديدة الشفافية إلى درجة أنه يفقدنا الإحساس بالمتعة والتشويق، فتشعر أنه يسيطر على الشخصية، وتصبح كل المعلومات عنه في يده، بل أنه يلج إلى باطن الشخصية ويغوص فيها، ويتعرف على دوافعها وخلجاتها وكأنها كتاب مفتوح أمامه يقلب صفحاته ويقرأ فيه كل ما يدور في نفوسها، فتجده يعرض مادته دون الإشارة إلى مصدر معلوماته (عامر، ١٩٩٧: ص٩٨).(Amer, 1997: p. 98)

ويمكن أن نطلق على هذا النوع من الرواة " الراوي الناقد، أو الراوي العليم، أو الراوي الواعظ، وهو راوٍ لا يكتفي بنقل جميع جوانب الحدث، ولا يكتفي بتلخيصه أو تمثيله بأسلوبه الخاص بل يتدخل تدخلاً مباشراً ليظهر بهجته بالحدث، أو ضيقه منه، أو سخريته منه" (الكردي، ٢٠٠٦: ص١٠٩). (Al-Kurdi, 2006: p.109)

نلاحظ أن الراوي العليم يتخذ مقام الناقد الذي لا يقتصر عمله على نقل جوانب الحدث فحسب بل يتعدى ذلك إلى التدخل في الحدث كونه عالماً بمجرياته ليظهر موقفه منه سواء كان موقفاً مبهجاً أو متضايقاً، أو ساخراً أو راضياً به. وهذا الراوي قناع من أقنعة المؤلف وهو من أكثر النماذج شيوعاً في الروايات، وهو يمتلك قدرة غير محدودة على الوقوف على الأبعاد الداخلية والخارجية للأشخاص وهو على نوعان:

- الراوي العليم المحايد: تقتصر وظيفته على رصد الأحداث وتتبع مجراها، فهو يكون مجرد قاص للحوادث، وربما يضفي عليها بعض الضوء دون تدخل مباشر منه.
- الراوي العليم المنفتح: وهو الذي يحاول التحقق من صحة ما يسرده والتأكد من نواياه وأهداف الشخصيات (خليل، ٢٠١٠: ص٨١-٨٣). (Khalil, 2010: pp. 81-83)

ثانياً: وظائف الراوي:

يؤدي الراوي الوظائف الأساسية والمتشابكة التي لا مفر منها في النص السردي. يتطلب التاريخ والسرد بالضرورة وظيفة سردية يكتسبها الراوي بغض النظر عن وجوده في الخطاب؛ لأن هذه الوظيفة هي العنصر الذي يمنح الراوي تميزه. وبناءً على ذلك، يُحدد "جيرار جينيت" ويُعرّف ويُحدد بناءً على وظائف اللغة التي اقترحها . جاكوبسون. ميز جينيت بين نوعين من الوظائف: رئيسية وثانوية. في الوظائف الرئيسية (الأساسية)، تتحقق هذه الوظائف من خلال تمثيل الأحداث المروية. فبينما يُنظر إلى الراوي كمحفز مُخلص للقارئ، تشارك الشخصية في وظيفة الحبكة، وتلعب دوراً في تطور أحداث الرواية من خلال وظيفة الحبكة، بينما يكون الراوي في موقع مهيمن باستخدام وظيفة الملاحظة. لذلك، يمكن للراوي وصف جانب من جوانب القصة من خلال التمثيل السردي؛ إلا أن الشخصية لا تستطيع القيام بذلك لأنها لا تستطيع القيام بدور الراوي ولا تستطيع التعليق على هذا الجانب. تُمثّل الوظائف الثانوية (الاختيارية) بوظيفتي الفعل والتفسير. في المقابل، تتولى شخصيات أخرى أدوار التمثيل والملاحظة؛ ويمكن لكلٍ من الشخصية والراوي تبادل الأدوار، بحيث تصبح الشخصية هي الراوي، والعكس صحيح (الحجمري، ١٩٩٨: ص٣٠)-Al) Hajmari, 1998: p. 30) .

ويمكن اجمال هذه الوظائف في وظيفتين أساسيتين هما:

١. الوظائف التأويلية: وهي وظيفة يقوم فيها " الرّاوي المفارق لمروية بإيجاد علاقة ما بين ما يرويه والبنية الثقافية للمرجع، من أجل شحن هي الخطاب بدلالته في زمن روايته" (إبراهيم، ٢٠٠٠: ص١٦٨)(Ibrahim, 2000: p. 168) . وبالتالي تقوم الوظيفة التأويلية على العلاقة القائمة والموجودة بين ما يسرده ويرويه الرّاوي، والخلفية المرجعية والثقافية لهذا المروي بهدف اكتساب الخطاب ودلالته في زمن سرده، وهي وظيفة تتعلق بالدرجة الأولى بموقف الراوي من الحكاية، وذلك عن طريق تدخله بصورة مباشرة وغير مباشرة للتعليق على مضمون الحكاية بأسلوب تعليمي تأويلي تفسيري (زيتوني، ٢٠٠٢: ص٩٨) (Zaytouni, 2002: p. 98) ، وهي وظيفة تندرج تحتها الوظيفة التفسيرية، والوظيفة الايديولوجية، ووظيفة التقويم.

١. الوظيفة التفسيرية: مع جيرارد جينيت هذه الوظيفة وربطها بوظيفة أخرى، وهي السرد القصصي. تتطلب هذه الوظيفة ليس فقط نقل الأحداث وتمثيلها، بل أيضًا تجاوزها وتفسيرها وشرحها وتقديمها وشرحها. بمعنى آخر، يتجاوز راوي الرواية مجرد تقديم التاريخ وأحداثه بعرض سردي، حيث يبحث في هذا العرض عن تاريخ التاريخ وأصوله وجذوره ويقدم شرحًا بشأنها. لذلك، في الشرح والتوضيح والتعليق، تبرز السمات والصفات الشخصية للراوي الذي يؤدي هذه المهمة ويرسم صورتها. ولا يتم شرح أو تفسير الأحداث التي تحدث في الحياة بذاتها، بل يشرحها ويفسرها عرضها المحايد بفصلها عن سياق الحياة ووضعها في سياق آخر من الشرح والتفسير. يمكن لأي قصة أن يكون لها عدد لا حصر له من الأسباب والأسباب والتفسيرات اعتماداً على منظور القصة، أي على اختلاف الراوي. في الواقع، في كثير من القصص القصيرة والروايات، بدلاً من الفقرات التي "يظهر فيها السرد حركة القصة"، تبرز الفقرات السردية التي تحتوي على وظيفة التفسير والتغيير؛ فنجد بعض الروايات تعتمد كلياً على هذه الوظيفة وتلعب بعملية التفسير والشرح، بحيث يروي الراوي القصة مرة من وجهة نظره الخاصة، ثم من وجهة نظر أخرى، ثم مرة ثالثة ورابعة، في نسخ مختلفة عن نسخه السابقة (الكردي، ٢٠٠٦: ص٦٣) (Al-Kurdi, 2006: p. 63) .

أي أنه في كل مرة يصبح للحكاية معنى جديد وتفسير جديد، رغم أنّ الحكاية واحدة وهذا كله انطلاقا من هذه الوظيفة التفسيرية التي يقوم بها الراوي في تقديمه للعرض الحكائي.

٢. الوظيفة التقويمية: وترتبط هذه الوظيفة هي الأخرى بوظيفة التفسير، وهي " الوظيفة التي يجسدها ما يطلقه الراوي من أحكام وأراء في شأن الشخصيات والأحداث" (القاضي وآخرون، ٢٠١٠: ص٤٧٣) (Al-Qadi et al., 2010: p. 473) ، وبالتالي فهي تكون مرتبطة بتلك الأحكام الصادرة عن الراوي فيما يخص أفعال وأقوال الشخصيات ومناقشتها، كما ترتبط بكل ما يخص الحدث. وهذه الوظيفة يدخل في سردها النقل المتحيز لكلام الشخصيات وفكرها والتفسير المغرض لأفعالها وكذلك تتبع سلوكها ومناقشته وتبيان مواطن الصواب والخطأ في أفعالها ثم تأييد أفكارها وأفعالها وتطويرهما أو العكس من ذلك، وقد يظهر هذا التقويم من خلال الأسلوب السردي المستخدم لنقل وسرد الأحداث أو الأفكار والأقوال (الكردي، ٢٠٠٦: ص٦٤) (Al-Kurdi, 2006: p.64) ، وهذه الوظيفة تتقاطع والوظيفة الإيديولوجية وتقابلها، على اعتبار أنهما يدخلان في إطار الخطاب الأخلاقي والتقويمي الذي يحمله الراوي في منظوره للشخصيات وسلوكاتها، وفي طريقة سرده للأحداث وتقديمها.

٣. الوظيفة الإيديولوجية : تتقاطع هذه الوظيفة مع الوظيفة التقويمية وتقابلها وهي "تختص بموقف الراوي من الحكاية وتبرز من خلال تدخل الراوي بصورة مباشرة وغير مباشرة للتعليق على مضمون الحكاية" (صالح، ٢٠٠٥: ص١٧٢) (Saleh, 2005: p. 172) إذ لا يمكن لها أن تأخذ شكلا صريحا وتعليقا مباشرا مما يعطي الفرصة للراوي في إصدار أحكام جاهزة وعامة حول المحيطين هي وظيفة تتعلق بالخطاب التنويري أو التربوي أو الأخلاقي أو المذهبي الذي يحمله الراوي في كلماته، وفي طريقة سرده للأحداث وتقديمه للشخصيات كما وتتعلق أيضا بالقوانين التي يستعملها الراوي في ربطه الأحداث إذ تكشف هذه القوانين التي يعتمد عليها في الاتجاه الفكري الذي تنحى منحاه القصة أو تعبر عنه، وهذا الخطاب التنويري الذي تيسر عليه كما الحال في كثير من الروايات (القاضي وآخرون، ٢٠١٠: ص٤٧٤). (Saleh, 2005: p. 172)

وعليه فهذه الوظيفة ارتبطت إلى حد ما بالخطاب السردي الذي يحمله الراوي، كما وتتعلق بمختلف القوانين التي يسر عليها الراوي في سرده لأحداث الحكاية والربط بين عناصرها .

٢. الوظائف البنائية: وهي وظيفة تكون متعلقة بالبناء الحكائي للرواية، وطريقة سرد أحداثها وتقديمها وفيها يقوم الراوي بتنظيم وتنسيق أجزاء الحكاية للمروي ،له كما وتندرج تحتها وظائف أخرى هي: الوظيفة التواصلية، وظيفة الحكي أو السرد، الوظيفة التنسيقية وكما يأتي:

١. الوظيفة التواصلية: وهي وظيفة تختص بالحكي والسرد ونقصد بها الراوي والمروي له وغرضها الأول يتمثل في التواصل مع المروي له والتأكيد على الحوار معه وهذه العلاقة مبنية على أساس العاطفة. وقد فضل جيرار جنيت تسميتها بوظيفة الاتصال (زيتوني، ٢٠٠٢: ص٩٧)(Zaytouni, 2002: p. 97) . فالراوي فيها يجتهد في التوجه إلى المروي له ومحاورته حرصا على إبقاء الاتصال معه. وهي " تخص علاقة الراوي بالمروي له وتظهر حين يتجه الأول إلى الثاني، إما للتأثير وإما للتثبت من وجود التواصل بينهما" (الكردي، ٢٠٠٦: ص٥١)-Al) Kurdi, 2006: p. 51). وهي التي تتعلق بالعلاقة بين الراوي والمروي له وربط الصلة بينهما من خلال استعمال الراوي لضمائر المخاطب وما شابهها. يقول جيرار جينيت: " ان الراوي يتوجه الى المروى له (القارئ) ليحقق أو يحافظ على التواصل" (حماش، ٢٠٠٧: ص٣٧)(Hamash, 2007: p. 37) . وبالتالي تكون هذه الوظيفة في العلاقة القائمة بين الراوي والمتلقي، إذ أنها تبرز من خلال طريقة

عرض الراوي للحكي والتوجه به إلى القارئ بغية التأثير فيه التأثير فيه والتواصل معه، وأهمية هذه الوظيفة نجدها ظاهرة في الرواية الرسائلية التي طرفها الراوي والمروي له كما أنها تدخل اهتمام الراوي في تأسيس صلة أو حوار مع المروي له، وهي تعادل ما أشار إليه ياكسون في حديثه عن وظائف اللغة بالوظيفتين اللتان سماهما phatie fonction وهي التي أساسها تبادل المشاعر وخلف جوّ اجتماعي أكثر من أن يكون الغرض منها نقل المعلومات إلى الآخر (المروي له) والتأثير فيه (إبراهيم، ١٩٩٨: ص١٦٦) (Ibrahim, 1998: p. 166) .

٢. وظيفة الحكي أو السرد: هذه الوظيفة مختصة ومتعلقة بالحكاية وفيها بعد الراوي يقوم بعملية سرد الأحداث الحكائية وعرضها للمتلقي، محاولا الإلمام بكل جوانب هذه الحكاية، وهي تعتبر من الوظائف الأساسية الموكلة إلى السارد بأدائها وهي أبرز وظائف الراوي وهي ابرز وظيفة للراوي واشدها رسخا وعراقة، فحينما وجد الحكي دل ذلك على وجود حاك، وهي وظيفة القص او الرواية وهي كبرى وتتمثل في نقل عالم القصة ويسرد الاعمال وينشأ عن ذلك ما يسمى لدى نقاد القصة بمصطلح الخطاب السردي او الاسلوب الاخباري السردي القائم على التوازن بين حدثين وفاعلين وزمانين" (الكردي، ٢٠٠٦: ص٥٩). (Al-Kurdi, 2006: p. 59)

ولا يقتصر دور هذه الوظيفة على إبراز موقع الراوي وتميزه عن فضاء الشخصيات والأحداث فحسب، بل إنها تُشير إليه وتُحدد موقعه وتُظهر حضوره. كما أنها تُنشئ وتُخلّف علامات تُشير إلى حضور الراوي، أو بالأحرى مكانه. ونجد أن الراوي لا ينقل الحدث كما هو، بل يُقدّم صورةً مُعدّلةً عليه. لذلك، فهو لا ينقل جميع التفاصيل حرفيًا، ولا يروي جميع الأحداث التي تقع في ذلك الفضاء بتفاصيلها وأشكالها؛ بل يُختار ما يُعبّر عن وقوع الحدث ويرسم صورته. هذا الاختيار يُكوّن شخصيتك، أي راويك، ويُحدّد وظيفتك السردية.

ولا يقتصر دور هذه الوظيفة على إبراز موقع الراوي وتمييزه عن موقع الشخصيات والأحداث فحسب تشير إليه وتحدده وتدل على وجوده وكذلك تخلق وتترك علامات تكون أكثر دلالة على وجود الراوي وتحديد موقعه بدقة، ونجد الراوي لا ينقل الحدث بحذافيره، بل يقدم صورة له مع عدد كبير من التعديلات عليه وعليه فهو لا ينقل جميع التفاصيل بدقة لكنه ينتقي من هذا ما يعبر عن وقوع الحدث وما يرسم صورة له، وهذا الاختيار هو الذي يصنع شخصيته، الرّاوي ويحدد وظيفته السردية (الكردي، ٢٠٠٦: ص٥٩) (.(Al-Kurdi, 2006: p.59)

٣. الوظيفة التنسيقية: يقوم الرّاوي في هذه الوظيفة بعملية التوجيه والتنظيم للنص الروائي، عن طريق استعمال إشارات الدالة على تنظيم هذا النّص الروائي، وهي وظيفة متصلة بالخطاب السردي، كما أنها متعلقة ومختصة بالتنظيم الداخلي للخطاب، وهي تتمثل في إبراز تفاصيل الحكاية الكبرى المركزية وفي نفس الوقت تعمل على ربط أجزائها، وضبط ما بينها من علاقات وتنظيمات وكذلك فهي تعمل على تنظيم زمن الحكاية بالإضمار والارتداد والاستباق وإدراج أقوال وأفعال الشخصيات واختيار نمط الخطاب الملائم لنقها وإخراجها (القاضي وآخرون، ٢٠١٠: ص٤٧٣)(Al-Qadi et al., 2010: p. 473) . أي أن الراوي يعمل من خلال هذه الوظيفة على تنظيم المتن الحكائي وإظهار التفاصيل الكبيرة وتوضيح العلاقة بينها فهو ينسق مرويات الرواة ويجعلها متماسكة حول شخصيته البطل (إبراهيم، ١٩٩٨: ص١٦٤)(Ibrahim, 1998: p. 164) . أي أنه يعمل على الربط بينها بطريقة منتظمة ومترابطة. كما أنه يمكن إجمال وظائف الراوي وحصرها في ثلاث وظائف وهي:

١. الوظيفة الوصفية: التي يقوم فيها الرّاوي بتقديم مشاهدة وصفية للأحداث والطبيعة والأماكن والأشخاص دون أن يعلم عن حضوره، بل إنه يظل متخفيا، وكأن المتلقي يراقب مشهدا حقيقيا لا وجود للرّاوي فيه .

٢. الوظيفة التأصيلية : وفيها يقوم بتوثيق بعض رواياته، رابطا إياها بمصادر موثوقة (عزام، ٢٠٠٥: ص٨٨)(Azzam, 2005: p. 88) أي أنه يجعل المتلقي أكثر ثقة في صدقها عن طريق الإثباتات التي يقدمها الراوي، وكذلك من خلال إضفاء لمسة لموضوعية على القصة.

هذه الوظائف في الواقع علامات تُبرز صورة الراوي في القصة وتكشفها، وتُحدد توجهاته فيها. كما تُمكّنه من التواصل مع من يُخبره، والسعي للتأثير فيه والوصول إليه. ورغم اختلافها وتنوعها، إلا أنها متشابكة في قصة واحدة، ومتداخلة في وجودها واستخدامها. أحيانًا تظهر أكثر من وظيفة في القصة، إذ يعتمد الكاتب أحيانًا على أكثر من ميزة في القصة ويستخدمها.

المبحث الثاني (موقع الراوي في الرواية)

المطلب الأول: تموقع الراوي داخل السرد

يمكن تحديد موقع الراوي داخل النص، من خلال علاقته بمستوى القصة، فما كان منتسبا الى هذا المتن عد داخليا، اما هو غير منتسب عد خارجيا، ويمثل درجة اولى يقع في مستوى اخر غير

مستوى عملية السرد الذي هو ناتجها. إذ أن " هناك حالتان، اما ان يكون الراوي خارجا عن نطاق الحكي، او ان يكون شخصية حكائية، موجودة داخل الحكي ، فهو اذا راو ممثل داخل الحكي وهذا التمثيل له مستويات، فإما أن يكون الراوي مجرد شاهد متتبع لمسار الحكي يشمل أيضا عبر الأمكنة، ولكنه لا يشارك مع ذلك في الأحداث، واما ان يكون شخصية رئيسية في القصة" (لحميداني، ٢٠٠٠: ص٤٦) .(Lahmidani, 2000: p. 46)

وولا يأخذ الراوي هذا الموقع داخل المتن اعتباطيا بل له دلالات تتعدى كون الراوي عارفا او جاهل أو داخل المتن او خارجي، وانما يمكن احالتها تتراوح بين الدكتاتورية التي تتجلى في الراوي الظاهر المسيطر الى السيكولوجية في الراوي الداخلي. ويمكن أيضا تفسير تموقع الراوي بعلاقته بالوظائف التي يؤديها، ومن الراوي بمستوى القصص ويمكن تقسيمه الى :

أولاً: راو داخلي

يقع الراوي داخل مستوى المحكي ويكون هنا ذاتيا يتكلم عن خلجات نفسه، اذا كان مشارك أو عما يجول في نفس الشخصيات فلا تظهر الاشياء في وجودها الخارجي الموضوعي فقط ، بل تظهر بوصفها ضلالا مرسومة على صفحة العقل الباطني للراوي أو لإحدى الشخصيات أو لعدد منها: " لعل أهم اثر يحدثه وجود الراوي الداخلي في الفن القصصي التعبير الذي يصيب البناء اللغوي فمع هذا الراوي تصبح اللغة القصصية لغة شفافة شعرية" (لحميداني، ٢٠٠٠: ص٤٨) .(Lahmidani, 2000: p.48)

ثانياً: الراوي من الخارج

يهتم الراوي هنا بأفعال الشخصيات الظاهرة فيذكر ما تقع عليه عيناه أو تسمعها أذناه ويشمها أنفه، فيتحول الراوي إلى مجرد واصف للأحداث أو معلق عليها. فتتحول القصة إلى ما يشبه المسرحية، إذا دخل إلى أعماق النفس البشرية لا يكون ذلك إلا بربطها بالظاهر من الأفعال والهيئات الخارجية " ولذلك فإن الروائي الذي يستخدم مثل هذا الراوي خارجي لا يمكنه أن ينشئ رواية مأساوية" (الكردي، ٢٠٠٦: ص١٢٧)(Al-Kurdi, 2006: p. 127) . أي أن الراوي الذي يتموقع داخل نفسية الشخصيات فيتعاطف معها القارئ الأفعال والهيئات الأمر الذي يصل إليه الراوي الخارجي الذي يكتفي بذكر الظاهر من الأفعال والهيئات التي تحذف الملحمات، فرؤيتك لشخص يبكي حينا ويضحك حينا آخر ولكنك إذا رأيته الداخل وعرفت ما يبكيه وما يضحكه لرفقت لحاله و لأشفقت عليه.

وتتعدد مواقع الرواة وطبيعتها في النص الروائي باختلاف مستويات السرد النصي وتعدد الروايات، لأن الراوي هو أداة فنية داخل الرواية ووسيلة لتوصيل المتن الحكائي للقارئ، ويمكن

لموقع الراوي أن يتحدد من خلال علاقته بالرواية التي يرويها، فيكون منتمياً إليها ويعتبر أحد شخوصها، أو لا ينتمي إليها فيكون خارجاً عن الحكي ويتولد عن هذا التداخل لموقع الراوي أربعة أشكال أساسية هي: (زيتوني، ٢٠٠٢: ص٩٥-٩٦). (Zaytouni, 2002: pp. 95-96)

١. راو خارج الحكاية ولا ينتمي إليها، وهو راوٍ بضمير الغائب إلا أنه لا يشارك في الأحداث.

٢. راوٍ خارج الحكاية وينتمي إليها، وهو يروي الحكاية بضمير المتكلم، ويكون منتمي إليها أي أنه من بين إحدى شخوصها.

٣. راوٍ داخل الحكاية ولا ينتمي إليها، ويكون رواية داخل الرواية، شخصية ليست بالرئيسية تروي الأحداث فقط ولا تشارك فيها.

٤. راوٍ داخل الحكاية وينتمي إليها، ويكون داخل الحكاية ولكنه لا يسرد الحكاية الرئيسية، بل يسرد قصة من قصصها.

وعليه يكون الراوي هو صاحب الطابع الشخصي للقصة أو صوت الشخصيات الروائية التي من خلالها يسعى كاتب القصة إلى توصيل معلومات الحكاية ومغزاها إلى المتلقي، كما قد يكون الراوي صوت وضع من قبل المؤلف باعتباره شخصية مجهولة المصدر وبعيد عن الشخصيات، فهو كيان قائم بذاته لا ينتمي إلى الرواية، مهمته سرد الحكاية لا غير ، فالراوي وعلى الموقع الذي يتخذه داخل المتن الحكائي يعتبر الركيزة والدعامة الأولى التي تعتمد عليها الرواية في نقل أحداثها ومجرياتها إلى العالم الخارجي.

المطلب الثاني: تجليات الراوي في رواية سقوط سرداب

تطرقنا إلى التعريف بالراوي وأنواع ووظائفه التي يقوم بها، والمواقع التي يتمتع بها داخل الرواية، ومن هنا يمكننا أن نتطرق إلى موقع الراوي في رواية سقوط سرداب، من حيث كونه داخلي أم خارجي، وأيضاً الراوي من حيث المشاركة إن كان مشارك أم غير مشارك، ويحدد هذان الجانبان نوعية الراوي، اعتماداً على قول جيرار جنيت: " تحدد منزلة الراوي في القصص بتحديد موقعه في المستوى، وفي الآن ذاته، موقعه في صلته بالمتن المروري" (حماش، ٢٠٠٧: ص٩١):(Hamash, 2007: p. 91) . أي أن الراوي يتحدد بالنظر لتفاعله مع السرد ومشاركته في الحكي.

إن القارئ لرواية "سقوط سرداب" يشعر عند قراءته لصفحات الرواية الأولى بأنه يتعرف على أغلب الأحداث التخيلية من خلال راوٍ متمكن ظاهر مسيطر على وظيفة السرد، متحملاً مسؤولية الكلام في الرواية، فهو راوٍ مشارك في الرواية حيث يمثل أحد الشخصيات الرئيسية فيها، قريب من الكاتب، ينتمي إلى داخل العالم الروائي، محيط بكل شيء يتعلق به من أحداث وشخصيات ومكان

وزمان، فهو يسير على جزء مهم من الرواية فكل ما يتعلق بالشخصيات وعلى رأسها شخصية (ثائر) من أفكار ومشاعر وأحاسيس، وصراعات داخلية وتذكر يصلنا من خلال صوت هذا السارد، كما أننا نتعرف على معظم الأحداث التي تحفل بها الرواية، فهو يعلم كل شيء عن العالم التخييلي بشخصياته وأحداثه وفضاءاته المختلفة، يسردها لنا بضمير الحاضر (صلاح، ٢٠٢٠: ص١٣١) (Salah, 2020: p. 131)، فهو راوٍ حاضر، ومتضمن في القصة التي يرويها، فهو المسيطر على أغلب صفحات الرواية. يقول: "لم يكن اختبائي في السرداب صدفة حياتية طارئة أو نزوة شاب قرر فجأة العيش في قلب الظلام" (شمدين، ٢٠١٥: ص٥). (Shamdin, 2015: p. 5)

لقد عمد الكاتب نوزت شمدين في روايته سقوط سرداب إلى تحميل عبء الحكاية إلى راوٍ واحد أتاح له مكانة كبيرة في الرواية واستحوذ على مساحة السرد كلها، وبذلك "يختبئ الكاتب خلف الراوي" (عبد الواحد، ٢٠٠٣: ص٩)(Abdul Wahid, 2003: p. 9) ومن خلاله تعرض أحداث الرواية، لأن الراوي " هو مجموع الشروط الأدائية التي تمكن من يروي بأن يروي كما لو أنه فعلاً سمع ورأى أو عرف من يروي أو أنه على علاقة فعلية بما يرويه، الراوي بهذا المعنى هو شخصية ظل فني للكاتب، والكاتب هو الذي يخلقها، إذ يخلق أدوات سرده أو يمتلك تقنيات ويمارسها معيداً إنتاجها ومبدعاً لها" (العيد، ١٩٩٩: ص٣٧) (Al-Eid, 1999: p. 37). فالراوي هو وسيط دائم بين المبدع والمتلقي (العيد، ١٩٩٩: ص٩)(Al-Eid, 1999: p.9) ، فنجده يروي حزنه على أبيه الشهيد قائلاً: " لا أدري لم صدقت أنا أيضاً حكاية أمي البرزخية. وانغمست في خلال الأيام الأولى لضجيج البنائين والنجارين والسبكين في جلسات اللطم العائلية. أردد مع جدتي وأخواتي مثل أرامل القبور: يللي رحت وعفتنا. وعيوننا المليئة بالدموع ترنو إلى صورة أبي المعلقة في صالة المنزل بقدسية تليق بمقام عميد ركن في الحرس الجمهوري" (شمدين، ٢٠١٥: ص٦) (Shamdin, 2015: p. 6).

والراوي هنا راوٍ داخلي يروي من داخل القصة، فهو مشارك فيها كبطل للرواية، يروي بضمير (الأنا) ويكون في الزمن الحاضر، أما الشخصية المروي عنها فزمنها ماضٍ، وعبر اتحاد الراوي بها تصبح هي من يروي عن ذاتها في الماضي، بشكل يوهم أنها تؤدي سيرة ذاتية، ولكن استخدم الراوي تقنية ضمير المتكلم ولا يريد تقديم سيرة ذاتية، وهذا يخلق وظيفة أخرى لاتحاد الراوي بالشخصية، فتحقق هذه الوظيفة رغبة الراوي في اختزال المسافة بينه وبين الشخصية ليتسنى له الحضور والتدخل والتحليل داخل العمل الروائي ليولد بالتالي إيهاماً بالإقناع (قريرة، ٢٠١٢: ص١٩٩) (Quraira, 2012: p. 199)، "كانت أمي القائد الميداني في المنزل والعقل المدبر لشؤونه بسبب انشغال أبي المستمر بالحروب. وبعد أن أخذوا من البيت تابوته الفارغ الملفوف بالعلم العراقي في جنازة رمزية. أصبحت سلطة أمي مطلقة وانفردت بالقرارات مكتفية بمنح جدتي دور المساعد

والمشاور غير الملزم في قضايا محدودة" (شمدين، ٢٠١٥: ص٩) (Shamdin, 2015: p.9) فتبدو الشخصية وكأنها تحيا أمامنا وتقوم بدورها في الواقع.

فنجد أن الكاتب اختار ضمير المتكلم، أي ذلك الراوي الذي استسلم لقدره التي فرضته عليه الظروف، في النزول إلى السرداب واختباءه فيه أملاً أن ينتج هذا الاختباء تحقيق ما كانت تطمح إليه نفسه من أمال ومطامح في واقع كانت فيه الصعوبات تتوالى وتتابع على النحو الذي وجدنا فيه معاناة الراوي عانى صعوبات التعايش مع الظلام والفئران والانقطاع عن العالم الخارجي حتى ينجو من الموت الذي فجعه في أبوه الضابط العصامي الذي استشهد في الحرب العراقية – الإيرانية التي دارت رحاها في الثمانينات من القرن المنصرم. وهذا ما ساعد الراوي على أن يدخل بنا إلى ذلك الواقع الذي يجمع بين التوتر والخوف والترقب للخلاص من سوقه إلى صفوف الجيش ليكون أحد المقاتلين الذين يساقون إلى الحرب لينتظروا مصيرهم المجهول، ومحاولة البحث الدائم عن الحلول للخروج من المأزق الذي وقع فيه. فالسرداب يمثل سجناً طوعيّاً وخياراً مصيريّاً اقترحته رؤية الأم كحلٍ لِأزمة الخوف؛ لأنها تخشى أن يكون مصير ابنها كمصير والده وهي لا تغادر خوفها من أن تسلبها الحرب ابنها، فتودعه في السرداب الذي أشبه بالسجن، وإن لم يكن يحمل دلالة السجن السلطوي القاهر للذات والمنتهك لها، " أخبرتك ألف مرة بأنهم سيأخذونك مني إن بقيت معنا في الأعلى، فستستشهد أو تذهب أسيراً" (شمدين، ٢٠١٥: ص١٦)(Shamdin, 2015: p.16) ، فقد كان السرداب مكان حامٍ لـ "ثائر" مثل حياة كاملة أوجدتها أمه لتحافظ على ابنها بعد أن حرّمت على أخواته الاقتراب من مدخل السرداب بحجة غريبة وهي أن روح أبوهم المرحوم تسكن السرداب، تلك الروح التي ربما كانت إشارةً إلى الابن روحاً عائمة في ضيق السرداب ".فمنعت ساكني المنزل جميعاً من الاقتراب من الممر الطويل المؤدي إلى باب السرداب الخشبي الكبير بحجة عدم مضايقة روح المغفور له والدنا الذي اختار سرداب البيت برزخاً يستريح فيه" (شمدين، ٢٠١٥: ص٥) (Shamdin, 2015: p. 5).

ويروي لنا "ثائر" الراوي أحداثاً داخلية للبطل – فهو راوٍ داخلي- وهو يحاول أن يعتاد حياة السرداب، لذا كان لابد له من البحث عن أساليب جديدة للمواجهة، فتعلم بعض الحيل ليتأقلم مع الحياة السردابية، من هذه الحيل الراديو الذي مثل خط دفاعه الأول في معركة الصمود ضد الجنون، وهو سلاح ذو حدين في مقاومة العزلة، والتجسس على العالم الخارجي في الوقت نفسه. والسلاح الثاني الفانوس للانتصار على الظلام، ومن الحيل الأخرى عقده صداقة مع الهر الصغير الذي تسلل إليه من كوة صغيرة جداً في جدار السرداب، يفضي إليه بأسراره، واكتشافه الفأر الصغير يطارده ليبدد به الملل، وكذلك الصحف والمجلات والمخطوطات، فامتلأ نهاره بمطاردات نهارية ورحلات ليلية عبر الراديو، وأحلام يقظة مع ياسمين زميلته في كلية القانون، التي أحبها دون أن يصارحها

بكلمة حب واحدة طيلة سنوات دراسته الأربعة. فعبر "ثائر" عن رحلته في السرداب بقوله: " كنت أشعر بنضج داخلي بعد كل كتاب أكمل قراءته"(شمدين، ٢٠١٥: ص٨٠) (Shamdin, 2015: p. 80)، لقد فتحت له الروايات والتراث والشعر والصحف والمجلات، باباً جديداً للتواصل حلمياً مع حبيبته ياسمين، وبذلك لم تذهب سنوات وجوده في السرداب هدراً، فهو عالق فيه، وأصبح خروجه منه يستلزم سقوط السرداب، وليس سقوط نظام .

إن الأنا المستلبة تواجه عدائية الحيز وهذه العدائية هي انعكاس لحساسيّة الانتباه الى الآن المتآكل والمصير المجهول، لقد كان "ثائر" حبيس مكان تقلب بين عدائيتها وألفتها ومارس حِراكاً قلقاً دفع ثمنه الأنا بخضوعها لسلطة مهيمنة: " لم استكشف جغرافيا المكان كما يجب.. أو أهتم كثيراً بما تحويه الحجرات الأربع المتداخلة فيه والتي احتلت تقريباً ثلثي مساحة السرداب الذي يشكل نصف المساحة السفلية لبناء المنزل" (شمدين، ٢٠١٥: ص١٩) (Shamdin, 2015: p. 19) فوصف هبوطه إلى السرداب قائلاً: " في هذا الوقت تحديداً كنت أهبط مع أمي دركات السرداب التسع وأنا متيبس من الخوف وحواسي تنطفئ واحدة بعد الأخرى. كانت تقرأ بصوتها الناقوسي آية الكرسي وتجرني مثل محكوم عليه بالإعدام إلى قدره المحتوم" (شمدين، ٢٠١٥: ص١٥).(Shamdin, 2015: p. 15)

ويستعين الراوي في الصفحات القادمة برواة آخرين منهم والدته التي تقول: "الحرب واقع لا محالة. يجب أن تبقى بعيداً عن أعين جماعة الاستخبارات العسكرية والأمن والرفاق الحزبيين. سيفتشون عنك في كل مكان وإذا اكتشفوا مخبأك سيقتلونك بدم بارد، يجب أن لا تنسى هذا أبداً" (شمدين، ٢٠١٥: ص١٦) .(Shamdin, 2015: p.16)

ونذكر من الرواة الآخرين الذين شاركوا في السرد شخصية أبو يعقوب " التفت أبو يعقوب سائلاً جدتي: أم سالم، وين راح سردابكم" (شمدين، ٢٠١٥: ص١٨) لترد عليه الجدة التي مثلت راوٍ آخر فتقول: " النزيز والرطوبة أكلتنا، والصراصر والفئران دمرتنا. فغلقناه" (شمدين، ٢٠١٥: ص١٨) .(Shamdin, 2015: p.18)

فنجح الراوي في سرد حكايته "سقوط سرداب" وعالج قضايا كثيرة على لسان رواة عدة، هيمن عليها الراوي المشارك، وقد وفقت الرواية في توظيفها للأحداث، من خلال سردها الذي "يتشكل استناداً إلى قناعات الراوي، فمنظوره للأحداث والوقائع وعلاقته بها وترتيبه. ثم تفسيره وتأويله أحياناً لبعضها، تجعل وهم المتلقي يتضاعف فيما يخص طبيعة تلك الأحداث، هل هي تاريخية أم متخيلة" (إبراهيم، ٢٠٠٥: ص٦٠٥) (Ibrahim, 2005: p. 605)ومن هنا يقول الراوي: " لم أنجح في إيقاف استعراض عقلي لقائمة طويلة بالأشياء التي تفزعني. كنت أعرف بعضها والبعض الآخر أتخيل صورها، فتمر جميعها مثل شريط فيديو أمام عيني دون أن أتمكن من

الوصول إلى زر يطفئه. رأس أبي يشتعل وهو يحمل بيده اليسرى ذراعه اليمنى المقطوعة ويخوض في بركة من الدم محاولاً الوصول إلي" (شمدين، ٢٠١٥: ص٢٠-٢١) .(Shamdin, 2015: p. 20-21)

لقد أسهم الروائي في استخدام معطيات المكان، وإشاعة الإحساس بأجواء العزلة ومغزاها الكلي، وعلاقات الوقائعي في صورته الظاهرة، وهي علاقات داخل الرواية في محاولة نسج بنية سردية تحكي قصة وطن يتفتت، فالموت يطول الجميع، وغدت المدينة أحياء معزولة، ويمارس الرصاص وظيفة الجريمة واختفت المقاومة، وهذا ما أراد الكاتب توضيحه والتعبير عنه بعودة " ثائر" إلى السرداب بعد أن شاهد صعود ألسنة اللهب من جديد، ومواكب العزاء، وتدافع اللصوص نحو المدينة. " قبل مغيب الشمس بقليل، كنت أشق طريقي في صالة المنزل متخطياً ذهول أمي وأخواتي اللواتي بدون متجمدات عند وقفتهن الأولى. أحسست بهن يتبعنني وأنا أنعطف داخلاً في الممر المؤدي إلى السرداب. وقفت بمواجهة صدام. تلاقت أعيننا. تساءلت في سري إن كانت الرتب التي يحملها تستحق كل الخراب الذي رأيته في الخارج. وإن كان هو يستحق أن تضيع بسببه أكثر من اثني عشر سنة من عمري. سحبت الصورة نحوي كمن يفتح باباً، ثم دفعتها إلى أن التصقت واجهتها تماماً بالحائط. وسلمت جسدي لجاذبية السرداب التي سحبتني إليه باشتياق، فهبطت الدركة الأولى، والثانية، توقفت في الثالثة والتفت إلى أمي المتسمرة خلفي مع أخواتي. أزحت الشعر عن وجهي قليلاً وقلت لها بصوت فيه غلظة: أغلقيه ورائي" (شمدين، ٢٠١٥: ص١٦٩-١٧٠) ,(Shamdin, 2015: p. 169-170)..

الخاتمة

رواية سقوط سرداب رواية واقعية تجسد أحداث واقعية جرت في الثمانيات، وهي رواية حافلة بالعديد من الأحداث والدلالات، فكانت بذلك ميداناً خصباً للدراسة، وتستحق دراسات عديدة من الجوانب كافة، وما هذا العمل إلا جزء بسيط كان التركيز على دور الراوي في الرواية بعد التعرف على أنواع الرواة ووظائفهم. وكان من بين أهم النتائج التي توصلت إليها هذه الدراسة ما يأتي:

١. تبين هذه الرواية الصراع الدائر بين السلطة في العراق وبين المواطنين الذين كان

٢. تظهر الرواية رؤية خاصة للنظام البائد في العراق تتلخص في الضرر الذي لحق البلد ومظاهر التبعية للسلطة وطمس الهوية.

٣. تستعرض رواية "سقوط سرداب" سقوط الأنا المعاصرة في عتمة السلطة، وتغييب الآخر المتسلط .

٤. حمل الكاتب الرواية لراوٍ واحد رئيسي جعل منه الشخصية البطلة التي تهيمن على مساحة السرد، وتؤثر في البناء الروائي، دون إلغاء دور الشخصيات الأخرى التي كانت حاضرة بشكل قوي، وهي التي كانت تحرك أحداث الرواية وتدفع بها إلى الأمام.

٥. هيمنة ضمير المتكلم على مساحة السرد بشكل كبير.

٦. بينت الرواية مدى انعكاس السلطة على الأفراد، ومدى تأثيرها على حياة الشخصيات وتغيير نمط حياتها.

٧. كشفت الرواية وراء طياتها وبساطة لغتها فرض السلطة نفوذها على الأفراد.

المصادر والمراجع

١. عبد الرحيم الكردي، الراوي والنص القصصي، مكتبة الآداب، القاهرة، ط١، ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م: ص١٧.

٢. إبراهيم خليل، بنية النص الروائي، منشورات الاختلاف، الدار العربية للعلوم، بيروت، ط١، ٢٠١٠م.

٣. ابن منظور، لسان العرب، ج٢، دار المعارف، القاهرة، د.ت.

٤. بطرس البستاني، محط المحيط، مكتبة لبنان، بيروت، ١٩٨٧م.

٥. جويدة حماش، بناء الشخصية، منشورات الأوراس، الجزائر، ٢٠٠٧م.

٦. حميد لحميداني، بنية النص السردي من منظور التقدم الأدبي، المركز الثقافي العربي للطباعة والنشر والتوزيع، الدار البيضاء، المغرب، ط٣، ٢٠٠٠م.

٧. حمزة قريرة، شبكة الراوي "Narrateur" الافتراضية في العمل الروائي، مجلة مقاليد، العدد (٣) ديسمبر ٢٠١٢م.

٨. سليمة صلاح، بنية المنظور الروائي في رواية (جسر للبوح وآخر للحنين) لزهور ونيسي، مجلة جسور المعرفة، محكمة ، مخبر تعليمية اللغات وتحليل الخطاب، جامعة حسيبة بن بوعلي، الشلف، المجلد (٦)، العدد (٤)، ديسمبر ٢٠٢٠م.

٩. السيد إبراهيم، نظرية الرواية دراسته مناهج النقد الأدبي في معالجة فن القصة، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٩٨م.

١٠. شعيب خليفي، مكونات السرد الفانتاستيكي، مجلة النقد الأدبي (فصول)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، المجلد (١١)، العدد (٤)، ١٩٩٤م.

١١. عالية محمود صالح، البناء السردي في رواية إلياس خوري، أزمنة للنشر والتوزيع، الأردن، ط ١ ، ٢٠٠٥م.

١٢. عبد الفتاح الحجمري، تخيل الحكاية بحث الأنساق الخطابية لرواية مالك الحزين لإبراهيم أصلان، المجلس الأعلى للثقافة، مصر، ط١، ١٩٩٨م.

١٣. عبد الله إبراهيم: السردية العربية بحث في البنية السردية للموروث الحكائي العربي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر المركز الرئيسي، بيروت، ط١، ٢٠٠٠م.

١٤. عبد الله إبراهيم، المتخيل السردي (مقارنات في التناص والرؤى والدلالة)، المركز العربي الثقافي، بيروت، ط١، ١٩٩٠م.

١٥. عبد الله إبراهيم، موسوعة السرد العربي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط١، ٢٠٠٥م.

١٦. عزة عبد اللطيف عامر، الراوي وتقنيات القص الفني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٧م.

١٧. عمر محمد عبد الواحد، شعرية السرد، تحليل الخطاب السردي في مقامات الحريري، دار الهدى للنشر والتوزيع، المينا، ط١، ٢٠٠٣م: ص٩.

١٨. لشريف جبيلة، بنية الخطاب الروائي (دراسة في نجيب الكيلاني)، عالم الكتب الحديثة، أربد-الأردن، ط١، ٢٠١٠م.

١٩. لطيف زيتوني، معجم مصطلحات نقد الرواية، دار النهار للنشر، لبنان، ط١، ٢٠٠٢م.

٢٠. محمد القاضي وآخرون، معجم السرديات، دار النهار للنشر، تونس ط١، ٢٠١٠م.

٢١. محمد صابر عبيد، سوسن البياتي، جماليات التشكيل الروائي، (دراسة في الملحمة الروائية " مدارات الشرق لنبيل سلمان")، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط١، ٢٠١٢م.

٢٢. محمد عزام، شعرية الخطاب السردي، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ٢٠٠٥م.

٢٣. نوزت شمدين، رواية سقوط سرداب، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت-لبنان، ط١، ٢٠١٥م.

٢٤. ولاس مارتن، نظريات السرد الحديثة، ترجمة: حياة جاسم محمد، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ١٩٩٨م.

٢٥. يمنى العيد، الراوي الموقع والشكل (دراسة في السرد الروائي)، مؤسسة الأبحاث العربية، لبنان، ط١، ١٩٨٦م.

٢٦. يمنى العيد، تقنيات السرد الروائي في ضوء المنهج البنيوي، دار الفارابي، بيروت-لبنان، ط١، ١٩٩٠م.

ources and references

1. Abdul Rahim Al-Kurdi, The Narrator and the Narrative Text, Maktabat Al-Adab, Cairo, 1st ed., 1427 AH - 2006 AD: p. 17.

2. Ibrahim Khalil, The Structure of the Narrative Text, Ikhtilaf Publications, Arab House of Sciences, Beirut, 1st ed., 2010 AD.

3. Ibn Manzur, Lisan Al-Arab, vol. 2, Dar Al-Maaref, Cairo, n.d.

4. Butrus Al-Bustani, Mahtat Al-Muheet, Maktabat Lubnan, Beirut, 1987 AD.

5. Jawida Hamash, Building Personality, Awras Publications, Algeria, 2007 AD.

6. Hamid Lahmidani, The Structure of the Narrative Text from the Perspective of Literary Progress, Arab Cultural Center for Printing, Publishing, and Distribution, Casablanca, Morocco, 3rd ed., 2000 AD.

7. Hamza Qarra, The Virtual Narrator Network in Novelistic Work, Maqaleed Magazine, Issue (3), December 2012.

8. Salma Salah, The Structure of the Narrative Perspective in the Novel (A Bridge for Confession and Another for Longing) by Zahour Ounissi, Bridges of Knowledge Magazine, Court, Language Education and Discourse Analysis Laboratory, Hassiba Ben Bouali University, Chlef, Volume (6), Issue (4), December 2020.

9. Al-Sayed Ibrahim, The Theory of the Novel: A Study of Literary Criticism Methods in Addressing the Art of the Story, Qubaa House for Printing, Publishing, and Distribution, Cairo, 1998.

10. Shuaib Khalifi, Components of Fantastic Narration, Literary Criticism Magazine (Chapters), Egyptian General Book Organization, Cairo, Volume (11), Issue (4), 1994.

11. Alia Mahmoud Saleh, Narrative Structure in the Novel of Elias Khoury, Azmina Publishing and Distribution, Jordan, 1st ed., 2005.

12. Abdel Fattah Al-Hajmri, "Imagining the Story: A Study of the Discursive Patterns of Ibrahim Aslan's Novel "The Sad Man," Supreme Council of Culture, Egypt, 1st ed., 1998.

13. Abdullah Ibrahim: The Arab Narrative: A Study of the Narrative Structure of the Arab Narrative Heritage, Arab Foundation for Studies and Publishing, Main Center, Beirut, 1st ed., 2000.

14. Abdullah Ibrahim, The Narrative Imagination (Comparisons in Intertextuality, Visions, and Meaning), Arab Cultural Center, Beirut, 1st ed., 1990.

15. Abdullah Ibrahim, Encyclopedia of Arab Narrative, Arab Foundation for Studies and Publishing, Beirut, 1st ed., 2005.

16. Azza Abdel Latif Amer, "The Narrator and the Techniques of Artistic Storytelling," Egyptian General Book Organization, Cairo, 1997.

17. Omar Muhammad Abdul Wahid, The Poetics of Narrative, Analysis of Narrative Discourse in Al-Hariri's Maqamat, Dar Al-Huda for Publishing and Distribution, Al-Mina, 1st ed., 2003: p. 9.

18. Sharif Jubayla, The Structure of Novelistic Discourse (A Study of Najib Al-Kilani), Alam Al-Kutub Al-Hadithah, Irbid, Jordan, 1st ed., 2010.

19. Latif Zaytouni, Dictionary of Novel Criticism Terms, Dar Al-Nahar Publishing, Lebanon, 1st ed., 2002.

20. Muhammad Al-Qadi and others, Dictionary of Narratives, Dar Al-Nahar Publishing, Tunis, 1st ed., 2010.

21. Muhammad Saber Ubaid and Sawsan Al-Bayati, The Aesthetics of Novelistic Formation (A Study of the Epic Novel "Orbits of the East" by Nabil Salman), Alam Al-Kutub Al-Hadithah, Jordan, 1st ed., 2012.

22. Muhammad Azzam, The Poetics of Narrative Discourse, Arab Writers Union Publications, Damascus, 2005.

23. Nawzat Shamdin, The Fall of a Crypt, Arab Foundation for Studies and Publishing, Beirut, Lebanon, 1st ed., 2015.

24. Wallace Martin, Modern Narrative Theories, translated by Hayat Jassim Muhammad, Supreme Council for Culture, Cairo, 1998.

25. Yumna Al-Eid, The Narrator: Position and Form (A Study of Narrative Narrative), Arab Research Foundation, Lebanon, 1st ed., 1986.

26. Yumna Al-Eid, Narrative Techniques in Light of the Structuralist Approach, Al-Farabi House, Beirut, Lebanon, 1st ed., 1990.